استدراكات ضعاف الإيمان

(أعلم أن الناس تختلف مداركهم وأفهامهم وآراؤهم ، ولا سيما في ما يتعلق بالأمور الدينية والغيبية ، لقصور علم الناس في جانب علم الله تعالى وحكمته ، ولهذا كان في القرآن آيات كثيرة يستشكلها كثير من الناس ، وقد ألفت في ذلك كتب ، وكذلك استشكل كثير من الناس كثيراً من الأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، منها ما هو من رواية كبار الصحابة أو عدد منهم كما مرّ ، وبهذا يتبين أن استشكال النص لا يعني بطلانه ، ووجود النصوص التي يستشكل ظاهرها لم يقع في الكتاب والسنة عفواً ، وانما هو أمر مقصود شرعاً ليبلو الله تعالى ما في النفوس ويمتحن ما في الصدور ، وييسر للعلماء أبواباً من الجهاد العلمي يرفعهم الله به درجات) [1] .

فأما ضعاف العقل فقد قصرت عقولهم عن تصور هذه الأمور الغيبية الغريبة ، فقالوا بوجوب عرض الحديث على العقل ، فما كان ضمن حدود التصور التي تبلغها عقولهم القاصرة قبلوه وصححوه ، وما كان أبعد من تلك الحدود رفضوه واتهموا راويه بالكذب .

(وحكاية عرض الحديث على العقل حكاية قديمة نادى بها بعض المعتزلة وطبقها فعلاً ، فرفض كل حديث لا يرتضيه عقله . ونادى بها المستشرقون حديثاً ، وتابعهم فيها الأستاذ أحمد أمين رحمه الله ، وضرب لذلك أمثلة من الأحاديث الصحيحة وهي في رأيه غير مقبولة للعقل ... وينادي بها اليوم الأستاذ أبو رية ويجعلها هي

---

(١) الانوار الكاشفة للمعلمي ص ٢٢٣

الأساس فيما ينبغي أن يقبل أو يردّ من الأحاديث ، ويقول : إن علماءنا الأقدمين لو عملوا بها لنقّوا السنة من كثير مما علق بها .

.. ما هو العقل الصريح الذي يريده أبو رية وما مدى الإتفاق عليه ؟

لئن كان يريد من العقل الصريح ما يقبله العقل من بديهيات الأمور ، فهذا أمر واقع في تاريخ السنّة ، فقد وضع أئمة النقد من علماء الحديث علامات لمعرفة الحديث الموضوع ؛ منها : أن يكون متنه مخالفاً لبدائه العقول وللمقطوع به من الدين أو التاريخ أو الطب أو غير ذلك ، وعلى هذا نفوا آلافاً من الأحاديث وحكموا عليها بالوضع .

ولئن كان يريد غير هذا مما يستغربه العقل فان استغراب العقل شيء أمر نسبي يتبع الثقافة والبيئة وغير ذلك مما لا يضبطه ضابط ولا يحدده مقياس ، وكثيراً ما يكون الشيء مستغرباً عند إنسان ، طبيعياً عند إنسان آخر ...

ومن المقرر في الإسلام أنه ليس فيه ما يرفضه العقل ويحكم باستحالته ، ولكن فيه — كما في كل دين سماوي — أمور قد يستغربها العقل ولا يستطيع أن يتصورها ، كأمور النبوات والحشر والنشر ، والجنة والنار ، وشأن المسلم إذا سمع خبراً ما ، أن يرفض ما يرفضه العقل ، ويتأنى فيما يستغربه حتى يتيقن من صدقه أو كذبه ...

والأحاديث التي صححها علماؤنا رحمهم الله ليس فيها ما يرفضه العقل أو يحيله ، لأنها إما أن تتعلق بأمور العقيدة ، وهذه يجب أن تتفق مع القرآن ... وإما أن تتعلق بالأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات وآداب وغيرها ، وليس في حديث من هذه الأحاديث التي صححها علماؤنا ما يرفضه العقل أو يحكم باستحالته ، وإما أن تكون أخباراً عن الأمم الماضية أو أخباراً عن عالم الغيب مما لا يقع تحت النظر ، كشؤون السماوات والحشر والجنة والنار ، وهذه ليس فيها ما يحكم العقل ببطلانه ، وقد يكون فيها ما لا يدركه العقل فيستغربه .

فإذا جاءت عن طريق ثابت يفيد القطع فيجب اعتقادها ، وإن جاءت عن طريق يفيد غلبة الظن فليس من شأن المسلم أن يبادر إلى تكذيبها .

وبهذا نرى أن فريقاً كبيراً من الناس لا يفرقون بين ما يرفضه العقل ، وبين ما يستغربه ، فيساوون بينهما في سرعة الإنكار والتكذيب ، مع أن حكم العقل فيما يرفضه ناشيء من استحالته ، وحكم العقل فيما يستغربه ناشيء من عدم القدرة على تصوره ، وفرق كبير بين ما يستحيل وبين ما لا يدرك .

على أننا نرى من الاستقراء التاريخي ، وتتبع التطور العلمي والفكري ، أن كثيراً مما كان غامضاً على العقول أصبح مفهوماً واضحاً ...

والذين ينادون بتحكيم العقل في صحة الحديث أو كذبه لا نراهم يفرقون بين المستحيل وبين المستغرب ، فيبادرون إلى تكذيب كل ما يبدو غريباً في عقولهم ، وهذا تهور طائش ناتج من اغترارهم بعقولهم من جهة ، ومن اغترارهم بسلطان العقل ومدى صحة حكمه فيما لا يقع تحت سلطانه من جهة اخرى) [1] .

ومن أشنع تهوراتهم وطيشهم واغترارهم بعقولهم الناقصة تكذيباتهم لأحاديث أبي هريرة رضي الله عنه ، إذ أنهم كذبوا طائفة صحيحة من أحاديثه أعيتهم عقولهم عن إدراكها وتصورها ، وسنرى من خلال البحث التفصيلي موافقتها للقرآن ، وموافقة العلم الحديث لبعضها الآخر ، وتواطؤ عدد من الصحابة على رواية البعض الآخر مما يجعل صحة الحديث أمراً أكيداً .

حديث الذباب

أخرج البخاري (عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه ، فإن في أحد جناحيه شفاءً وفي الآخر داءً) [2] .

ونظراً لما في هذا الحديث من الغرابة فقد سارع ضعفة الايمان والفجار إلى تكذيبه ، بينما نجد في الحقيقة — قبل اضطرارنا إلى مناقشة الحديث من الناحية الطبية — أن رواة آخرين غير أبي هريرة رووا الحديث أيضاً ، وبذلك خرج أبو هريرة من الانفراد بالتبعة ، وما هي والله بتبعة ، وإن الأجدر أن نقول : إنه بذلك تمكن غير أبي هريرة من مشاركته في أجر وشرف حمل هذا الحديث وتبليغه إلى الأمة ، ذلك (أن أبا هريرة رضي الله عنه لم ينفرد بروايته ، بل رواه أبو سعيد الخدري أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم عند أحمد في المسند ١١٢٠٧ ، ١١٦٦٦ ، والنسائي ١٩٣/٢ ، وابن ماجة ١٨٥/٢ والبيهقي ٢٥٣/١ ، بأسانيد صحاح . ورواه أنس بن مالك أيضاً ، كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٨/٥ وقال : رواه البزّار ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني في الأوسط . وذكره الحافظ في الفتح ٣٦٤/١٢ وقال : أخرجه البزار ورجاله ثقات . فأبو هريرة لم ينفرد برواية هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه انفرد بالحمل عليه منهم بما غفلوا أنه رواه اثنان غيره من الصحابة [3] .

وأحسن من تكلم في بيان صحة هذا الحديث هو الأستاذ الشيخ محمد السماحي ، إذ أنه تكلّم باسهاب حول طرق الحديث وقول الأقدمين فيه ، ثم ضمّن ردّه مقالاً علمياً مهماً جداً للطبيبين الدكتورين محمود كمال ومحمد عبد المنعم حسين ، نشراه في الجزء السابع من مجلة الأزهر سنة ١٣٧٨ ، نقلا فيه ما توصل اليه علماء الغرب من إثبات حمل الذباب للمواد المضادة للجراثيم واستخلاصهم لهذه المواد منه .

---

(١) اقتباس من كلام الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله في مقدمة « السنة ومكانتها .. » ص ٤٥ إلى ص ٤٩ مع بعض الحذف أشير اليه بنقاط .

(٢) البخاري ١٨١/٧ ، ١٥٨/٤ ، واخرجه الامام احمد بسند صحيح في ١٢٤/١٢

(٣) من تحقيق احمد شاكر للمسند في الموضع المذكور

قال الطبيبان : (جاء في المراجع العلمية أن الأستاذ الألماني بريفيلد من جامعة هال بألمانيا وجد في عام ١٨٧١ أن الذبابة المنزلية مصابة بطفيلي من جنس الفطريات تسمّاها — امبوزاموسكي — .. ويقضي هذا الفطر حياته في الطبقة الدهنية داخل بطن الذبابة على شكل خلايا خميرة مستديرة ثم يستطيل ويخرج عن نطاق البطن بواسطة الفتحات التنفسية أو بين المفاصل البطنية ، وفي هذه الحالة يصبح خارج جسم الذبابة ، وهذا الشكل يمثل الدور التناسلي لهذا الفطر ، وتتجمع بذور الفطر في داخل الخلية إلى قوة معينة تمكن الخلية من الانفجار وإطلاق البذور خارجها ، وهذا سيكون بقوة دفع شديدة لدرجة تطلق البذور إلى مسافة حوالي ٢ سنتيمتر من الخلية بواسطة انفجار الخلية واندفاع السائل على هيئة رشاش .

ويوجد دائماً حول الذبابة الميتة والمتروكة على الزجاج مجال من البذور لهذا الفطر ، ورؤوس الخلية المستطيلة التي يخرج منها البذر موجودة حول القسم الثالث والأخير من الذبابة على بطنها وظهرها ، وهذا القسم الثالث أو الأخير دائماً ما يكون مرتفعاً عندما تقف الذبابة على أي مسند لتحفظ توازنها واستعدادها للطيران ، والانفجار كما ذكرنا يحدث بعد ارتفاع ضغط السائل داخل الخلية المستطيلة إلى قوة معينة .

وهذا قد يكون مسبّباً من وجود نقطة زائدة من السائل حول الخلية المستطيلة ، وفي وقت الانفجار يخرج مع السائل والبذور جزء من السيتوبلازم من الفطر . كما ذكر الأستاذ لانجيرون — أكبر الأساتذة في علم الفطريات في عام ١٩٤٥ — أن هذه الفطريات — كما ذكرنا ، تعيش في شكل خميرة مستديرة داخل أنسجة الذبابة ، وهي تفرز أنزيمات قوية تحلّل وتذيب أجزاء الحشرة الحاملة للمرض .

ومن جهة أخرى تمّ في سنة ١٩٤٧ عزل مادة مضادة للحيوية — بواسطة آرنشتين وكوك من انكلترا ورولبوس من سويسرا في سنة ١٩٥٠ — تسمى جافاسين ، من فطر من نفس الفصيلة التي ذكرناها والتي تعيش في الذبابة ، وهذه المادة المضادة للحيوية تقتل جراثيم مختلفة ، من بينها الجراثيم السالبة والموجبة لصبغة جرام ، وجراثيم الدوسنتاريا ، والتيفويد . وفي سنة ١٩٤٨ عزل بريان وكورتيس وهيمنج وجيفيريس وماكجوان من بريطانيا مادة مضادة للحيوية تسمى كلوتينيزين من فطريات من نفس فصيلة الفطر الذي يعيش في الذبابة وتؤثر على الجراثيم السالبة لصبغة جرام ، من بينها جراثيم الدوسنتاريا والتيفويد . وفي سنة ١٩٤٩ عزل كوكس وفامر من انكلترا ، وجرمان وروث واتلنجر وبلاتنر من سويسرا ، مادّة مضادة للحيوية تسمى انياتين من فطريات من نفس صنف الفطر الذي يعيش في الذبابة تؤثر بقوة شديدة على جراثيم جرام موجب وجرام سالب وعلى بعض فطريات أخرى ، ومن بينها جراثيم الدوسنتاريا والتيفويد والكوليرا . ولم تدخل هذه المواد المضادة للحيوية بعد الاستعمال الطبي ولكنها فقط من العجائب العلمية لسبب واحد ، وهو أنها بدخولها بكميات كبيرة في الجسم قد تؤدي إلى حدوث بعض المضاعفات ، بينما قوتها شديدة جداً وتفوق جميع مضادات الحيوية المستعملة في علاج الأمراض المختلفة ، وتكفي كمية قليلة جداً لمنع معيشة أو نمو جراثيم التيفويد والدوسنتاريا والكوليرا وما يشبهها . وفي سنة ١٩٤٧ عزل موفتيش مواد مضادة للحيوية من مزرعة الفطريات الموجودة على جسم الذبابة ووجد أنها ذات مفعول قوي في بعض الجراثيم السالبة لصبغة جرام مثل جراثيم التيفويد والدوسنتاريا وما يشبهها .

وبالبحث عن فائدة هذه الفطريات لمقاومة الجراثيم التي تسبب أمراض الحميات التي يلزمها وقت قصير للحضانة وجد أن غراماً واحداً من هذه المواد المضادة للحيوية يمكن أن يحفظ أكثر من ١٠٠٠ لتر لبن من التلوث من الجراثيم المرضية المذكورة ، وهذا أكبر دليل على القوة الشديدة لمفعول هذه المواد.

أما بخصوص تلوث الذباب بالجراثيم المرضية كجراثيم الكوليرا والتيفويد والدوسنتاريا وغيرها التي ينقلها الذباب من المجاري والفضلات أو البراز من المرضى ، وهي الأماكن التي يرتادها الذباب بكثرة ، فمكان هذه الجراثيم يكون فقط على أطراف أرجل الذبابة أو في برازها ، وهذا ثابت في جميع المراجع البكتريولوجية ، وليس من الضروري ذكر أسماء المؤلفين أو المرجع لهذه الحقيقة المعلومة .

من كل هذا يستدل على أنه إذا وقعت الذبابة على الأكل فستلمس الغذاء بأرجلها الحاملة للميكروبات المرضية : التيفويد أو الكوليرا أو الدوسنتاريا أو غيرها ، واذا تبرزت على الغذاء سيلوث الغذاء أيضاً كما ذكرنا بأرجلها .

أما الفطريات التي تبرز المواد المضادة للحيوية والتي تقتل الجراثيم المرضية الموجودة في براز الذبابة وفي أرجلها فتوجد في بطن الذبابة ، ولا تنطلق مع سائل الخلية المستطيلة من الفطريات والمحتوي على المواد المضادة للحيوية إلا بعد أن يلمسها السائل الذي يزيد الضغط الداخلي لسائل الخلية ، وبسبب انفجار الخلية المستطيلة واندفاع البذور والسائل .

بذلك يحقق العلماء بأبحاثهم تفسير الحديث النبوي الذي يؤكد ضرورة غمس الذبابة كلها في السائل أو الغذاء إذا وقعت عليه لأفساد أثر الجراثيم المرضية التي نقلتها بأرجلها أو ببرازها .

وكذلك يؤكد الحقيقة التي أشار اليها الحديث ، وهي أن في أحد جناحيها داءً ، أي في أحد أجزاء جسمها الأمراض المنقولة بالجراثيم المرضية التي حملتها ، وفي الآخر شفاء ، وهو المواد المضادة للحيوية التي تفرزها الفطريات الموجودة على بطنها والتي تخرج وتنطلق بوجود سائل حول الخلايا المستطيلة للفطريات)[1] .

وهكذا تمت معجزة الوحي الإلهي وأنف الالحاد راغم .

حديث نفي العدوى

أخرج البخاري بسند إلى أبي سلمة قال : (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه

---

(١) المنهج الحديث للساحي ص ٣٨٦ وذكر الطحاوي في معاني الآثار ٢٨٤/٤ ان تقديم الذباب لجناحه الذي فيه الداء ، كما في بعض الروايات ، هو إلهام من الله ، كوحيه إلى النحل ان تتخذ من الجبال بيوتا .

وسلم : لا عدوى .) [1] ، ثم قال البخاري : (وعن أبي سلمة سمع أبا هريرة بعد يقول : قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا يوردن ممرض على مصح ، وأنكر أبو هريرة حديث الأول . قلنا : ألم تحدّث أنه لا عدوى ؟ فَرَطَن بالحبشية . قال أبو سلمة : فما رأيته نسي حديثاً غيره .) .

وفي صحيح مسلم : (قال أبو سلمة : كان أبو هريرة يحدثهما كلتيهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم صمت أبو هريرة بعد ذلك عن قوله : لا عدوى ، وأقام على أن لا يورد ممرض على مصح) . ثم يقول أبو سلمة : (ولعمري لقد كان أبو هريرة يحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا عدوى ، فلا أدري أنسي أبو هريرة أو نسخ أحد القولين الآخر) [2] .

كذلك راجع في نسيان أبي هريرة لحديث العدوى سنن أبي داود [3] ومعاني الآثار للطحاوي [4] .

و (الممرض : بضم أوله وسكون ثانيه وكسر الراء بعدها ضاد معجمة : هو الذي له إبل مرضى .

والمصح : بضم الميم وكسر الصاد المهملة بعدها مهملة : من له إبل صحاح .

نهى صاحب الابل المريضة أن يوردها على الإبل الصحيحة) [5] .

هذا النسيان طرب له أبو رية على عادته ، فادعى أن ثوب أبي هريرة الذي بسطه قد تمزق فتناثر ما كان بين أطرافه ، وأنه اضطر للاعتراف بالنسيان تخلصاً من مخالفة عمر بن الخطاب حين رجع عن الشام أيام الطاعون لحديث عبد الرحمن بن عوف وأسامة بن زيد : إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها ... ولحديث أبي هريرة هو نفسه في النهي عن إيراد الممرض على المصح .

والحق أن (هاهنا أموراً تبين تهور أبي رية ومجازفته :

الأول : أن حديث لا عدوى لم ينفرد به أبو هريرة ، بل هو في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عمر وأنس [6] ، وفي صحيح مسلم وغيره من حديث جابر [7] .

الثاني : أن عمل الصحابة ليس مخالفاً له ، وقد جمع بينهما أهل العلم بما هو معروف ، ولبعض العصريين قول سأحكيه لينظر فيه . زعم ان العرب كانوا يعتقدون أن العدوى تحصل بالمجاورة وحدها بدون سبب آخر ،

---

(١) البخاري ١٧٩/٧
(٢) مسلم ٣١/٧
(٣) ٣٤٣/٢
(٤) ٣٧٥/٢
(٥) فتح الباري ٣٥٤/١٢
(٦) البخاري ١٧٩/١٧٤/٧
(٧) رواية جابر في المسند ٣١٢/٣ بسند صحيح ، وفي المسند ايضاً ٤٤٩/٣ عن السائب بن يزيد رضي الله عنه .

حتى لو كان في شعر امرأة وثيابها قمل كثير فقامت إلى جانبها امرأة أخرى ، ثم بعد أيام قمل شعر الأخرى وثيابها . لما سموا هذا عدوى ، لأنهم يعرفون انه لم يكن للمجاورة نفسها ، وإنما دب القمل من تلك إلى هذه ثم تكاثر . قال وحديثا : لا يورد ممرض على مصح ، وفر من المجذوم فرارك من الأسد يفيدان انتقال الجرب والجذام ، وقد ثبت أنه لا يكون بالمجاورة نفسها ، وإنما يكون بانتقال ديدان صغيرة جداً من هذا إلى ذاك ، فهو من قبيل انتقال القمل ، وليس من العدوى بالمعنى الذي كانوا يعتقدون .

الثالث : أن المنقول أن عمر رجع لخبر عبد الرحمن بن عوف وحده ، ولم ينقل أن عمر علم بخبر أسامة ولا خبر : لا يورد ممرض على مصح كما زعم أبو رية .

الرابع : أن الخبر في الطاعون استفاض في عهد عمر ، وبقي أبو هريرة يحدث بحديث لا عدوى زماناً بعد ذلك ، حتى سمعه منه أبو سلمة وغيره ممن لم يدرك عمر .

الخامس : قول أبي رية : وقد اضطر ، يعطي أن أبا هريرة لم ينس الحديث ، فما معنى قوله بعد ذلك : وأن يعترف بنسيانه ، مع إيراده القصة شاهداً على النسيان كما زعم .

السادس : لم يأت أبو رية بدليل ولا شبه دليل على دعواه أن أبا هريرة اعترف بأنه نسي .

السابع : اختلف الرواة عن الزهري في حكاية القصة ، وأحسنهم سياقاً يونس بن يزيد الأيلي ، وقد شهد له ابن المبارك بأن كتابه صحيح وأنه كتب حديث الزهري على الوجه ، أي كما تلفظ به الزهري . وفي روايته في صحيح مسلم بعد كلام الحارث : فأبى أبو هريرة أن يعرف ذلك وقال : لا يورد ممرض على مصح ، فماراه الحارث في ذلك حتى غضب أبو هريرة فَرَطَنَ بالحبشية فقال للحارث : أتدري ماذا قلت ؟ قال : لا . قال أبو هريرة : قلت : أبيت . قال أبو سلمة : ولعمري لقد كان أبو هريرة يحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا عدوى ، فلا أدري أنسي أبو هريرة أم نسخ أحد القولين الآخر ؟

ولو صرّح أبو هريرة بنفي أن يكون حدّثهم من قبل لجزم أبو سلمة بالنسيان ، لكن لما سكت أبو هريرة عن الحديث وامتنع أن يجيبهم سألوه وغضب وقال : أبيت ، فهم بعض الرواة من ذلك إنكاره ، فعبر بعضهم عن قول أبي سلمة : فأبى أبو هريرة أن يعرف ذلك ، بقوله : أنكر أبو هريرة الحديث الأول ، ولا يخفى الفرق ، فقوله : أبى أن يعرف ، إنما معناه : امتنع أن يقول : نعم قد عرفت ، وهذا الامتناع لا يفهم منه الإخبار بنفي المعرفة ، ثم جاء بعض من بعدهم فعبر عن الإنكار بنسبته إلى أبي هريرة أنه قال : لم أحدثك ، كما وقع عند الإسماعيلي من طريق شعيب ولا أدري ما سنده ؟ وأصل حديث شعيب عند مسلم لكن لم يسق لفظه ، وعند الطحاوي في مشكل الآثار ٢/٢٦٢ ، وليس فيه هذه الكلمة ، وكأن أبا هريرة حدث بالحديثين مرة فتشكك بعض الناس في الجمع بينهما فرأى أبو هريرة أن التحديث بها مظنة أن يقع لبعض الناس ارتياب أو تكذيب ، فاختار الاقتصار على أحدهما ، وهو الذي يتعلق به حكم عملي : لا يورد ممرض على مصح ، وسكت عن

الآخر وودّ أن لا يكون حدث به قبل ذلك ، فلما سئل عنه أبى أن يعترف به راجياً أن يكون في ذلك الأباء ما يمنع الذين كانوا سمعوه منه أن يحدثوا به عنه) [1] .

وقد فصل ابن حجر القول في الفتح [2] حول هذا الإشكال ، وبين كيفية الجمع بين الحديثين ، ولطول كلامه وعدم إمكان اختصاره لم أنقله ، لكن حاصل كلامة أن قوله لا عدوى هو نهي عن الاعتقاد بأن العدوى لا تحدث بقدر الله ، إذ كان العرب يعتقدون بأن الأمراض تُعدي بطبعها فحسب ، وأما عدم تحديثه به فساق عدة احتمالات في ذلك ، أوجهها عن القرطبي أن أبا هريرة خاف أن يعتقد جاهل بأن الحديثين متناقضان ، فسكت عن أحدهما ، وأنه كان إذا أمن ذلك حدث بهما جميعاً .

الجاهل المغفل ينكر ورود اسم النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة

(سار علماؤنا رحمهم الله منذ الصحابة ، حتى من بعدهم ، يأخذون عن أهل الكتاب ما لا يتعارض مع القرآن الكريم ، ومع الثابت عندهم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقواعد الدين ، وردوا كل ما يخالف ذلك .

ولكن الأستاذ أبارية اتخذ مبدأ آخر ، وهو أن كل حديث عن التوراة أو الإنجيل هو مدسوس على الإسلام من قبل اليهود أو النصارى .

وعلى هذا كذّب ما رواه أبو هريرة وغيره عن كعب من أن التوراة نصّت على اسم الرسول صلى الله عليه وسلم ، واتّهم في ذلك مسلمي اليهود من أسلم منهم في عصر الرسول ، ومن أسلم بعده .

ولا أدري كيف ساغ له مثل هذا القول وهو العالم المحقق ! ! مع أن القرآن الكريم نصّ على هذا في أكثر من آية .

* الذين يتّبعون النبيَّ الأميَّ الّذي يجدُونَهُ مَكْتُوباً عندهُمْ في التّوراةِ والإنجيل » [3] .

* « وإذْ قال عيسى بنُ مريمَ يا بَني إسرائيلَ إنّي رسولُ اللهِ إليكُم مصدّقاً لما بين يديّ من التوراةِ ومبشّراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد [4] » .

* «محمدٌ رسولُ اللهِ والذّينَ معَهُ أشِدّاء على الكُفّار رُحَماءُ بينَهُم ، تَراهُمْ ركّعاً سجّداً يَبْتَغُون

---

(١) من كلام المعلمي رحمه الله في الأنوارالكاشفة ص١٩٩/٢٠٠ (٢) الفتح ١٢/٢٦٤ وكذلك ١٢/٣٥٤
(٣) الاعراف : ١٥٧ (٤) الصف : ٦

فَضْلاً من الله ورضواناً، سيماهُمْ في وُجوههِمْ من أثَرِ السّجُود ، ذلك مَثَلُهُمْ في التّوْرَاةِ ، ومَثَلُهُم في الإنجيل كزرع أخرج شَطْأَهُ فآزَرَهُ فاستَغْلَظ فاسْتَوى على سوقِهِ ، يعجِبُ الزُرّاع ليَغيظ بهم الكفّار [1] » .

فهذه آيات من كتاب الله صريحة الدلالة على أن اسم الرسول صلى الله عليه وسلم قد جاء ذكره صراحة في التوراة والانجيل ، وجاء ذكره وذكر صحابته عن طريق التشبيه والتمثيل في التوراة والانجيل أيضاً .

فأيّ غرابة وأيّة مناقضة ، وأي شيءٍ فيه يستنكره عقل المسلم إذا روى أهل الكتاب ممن أسلموا أن اسمَ النبيّ أو وصف صحابته أو بعضهم مكتوب في التوراة ؟

وإذا كان ما روي عنهم لا نجده الآن مكتوباً في التوراة والإنجيل المعترف بهما لدى اليهود والنصارى في عصرنا هذا، فهل يكون ذلك دليلاً على كذب تلك الأخبار، أم يكون ناشئاً مما أخبر الله عنهم أنهم حرفوا هذه الكتب وبدلوها ؟

وأياً ما كان فأبو رية بين أمرين : إما أن يعترف بصحتهما فيكذب كل ما جاء من الأخبار مما لا يجده اليوم فيهما ، وإما أن يعترف بتبديلهما فيعترف بما صحّ من تلك الأخبار ولو لم نجدها فيهما .

أما أن يقول : إنّ ما جاء في تلك الأخبار متفق مع ما في التوراة والإنجيل فذلك دليل على أن واضعيها يهود أو نصارى ، وما جاء في تلك الأخبار مما لا وجود له فيهما فذلك دليل على كذب تلك الأخبار لأنا لا نجدها فيهما ، فهذا هو التناقض ، والتحكم بالهوى ، والمجازفة لا التحقيق !) [2] .

المحروم من الظل الممدود ينفيه

قال المحروم أبو رية : (وقد بلغ من دهاء كعب الأحبار واستغلاله لسذاجة أبي هريرة وغفلته أن كان يلقنه ما يريد بثّه في الدين الإسلامي من خرافات وترهات ، حتى إذا رواها أبو هريرة عاد فصدق أبا هريرة ... وإليك مثلاً من ذلك ... روى الامام أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ، اقرأوا إن شئتم : « وظل ممدود » . ولم يكد أبو هريرة يروي هذا الحديث حتى أسرع كعب فقال : صدق ، والّذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد ... ومن العجيب أن يروي هذا الخبر الغريب وهب بن منبه) .

---

(١) الفتح : ٢٩

(٢) من كلام الدكتور السباعي رحمه الله في السنة ومكانتها ص ٤٤

قلت : حديث أبي هريرة هذا هو في صحيح البخاري أيضا [1] بلا تصديق كعب ، وأخرجه البخاري أيضاً في موضع آخر بلفظ المتابعة غير الموصولة عن شيخه اسحاق بن ابراهيم الحنظلي بسنده إلى اثنين من الصحابة غير أبي هريرة ، سهل بن سعد السّاعدي رضي الله عنه ، وأبو سعيد الخدري رضي الله عنه [2] ، وذكر المعلمي أن روايتهما في صحيح مسلم أيضاً ، ورأيت في البخاري رواية أنس رضي الله عنه أيضاً لهذا الحديث [3] . فهل كان هؤلاء الصّحابة الثلاث من السذّج المغفلين الذين يلقنهم كعب كما يلقن أبا هريرة ؟؟

قال المعلمي : (قال ابن كثير في التفسير ١٨٧/٨ . هذا حديث ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث [4] . ثم بيّن المعلمي أنه لا ذكر لوهب بن منبه في الموضع الذي أشار اليه أبو رية ، وإنما الرواية لابن عباس لا لوهب .

والحقيقة أننا لو أردنا أن نجاري أبا رية في تكذيب كل ما هو موصوف بالعظمة والسّعة من أجزاء الجنّة والنار لأفضى بنا ذلك إلى تكذيب كل الصحابة بلا استثناء ، إذ ليس فيهم أحد من الرواة إلا ويروي جانباً من عظمة الجنة أو النار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلماذا هذه الحملة على أبي هريرة ؟ إن الجنة عظيمة في كل مرافقها ، أنهارها وجبالها وأشجارها وثمارها وكل شيء فيها ؛ ومن آمن بها صغيرة يؤمن بها كبيرة ، إذ الإيمان بأصل وجود الجنة والخلود فيها أكثر صعوبة عند أمثال أبي ريّة من الايمان بسعتها ، لكن أبا ريّة لا يؤمن بوجود الجنّة أصلاً ، ولذلك سارع إلى تكذيب خبر سعتها وعظمتها ، غافلاً أنه سيراها من على بعد وهو على مقعده في النار .

حديث الشمس والقمر ثوران

قال أبو ريّة : (ومما يدلك على أن هذا الخبر الداهية [5] قد طوى أبا هريرة تحت جناحه حتى جعله يردد كلام هذا الكاهن بالنص ويجعله حديثاً مرفوعاً إلى النبي ما نورد لك شيئاً منه) ثم ذكر شواهد على ذلك : أولاً : (روى البزار عن أبي هريرة أن النبي قال : إن الشمس والقمر ثوران في النار يوم القيامة . فقال الحسن : وما ذنبهما ؟ فقال : أحدثك عن رسول الله وتقول : ما ذنبهما ؟

وهذا الكلام نفسه قد قاله كعب بنصه ، فقد روى أبو يعلى الموصلي قال كعب : يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان في جهنم يراهما من عبدهما) .

وقد أحال أبو رية إلى حياة الحيوان للدّميري .

---

(١) البخاري ١٨٣/٦
(٢) البخاري ١٤٢/٨
(٣) البخاري ١٤٤/٤ ، وكذلك هو في مسند أحمد ١٣٥/٣ ، ١٦٤/٣ عن أنس باسانيد صحيحة .
(٤) الانوار الكاشفة ص ١٩٥
(٥) يقصد كعب الاحبار

قال السماحي : (قال الدميري في حياة الحيوان : روى البخاري في بدء الخلق عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الشمس والقمر يكوّران يوم القيامة . انفرد به البخاري ، وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار بأبسط من هذا السياق فقال : حدثنا ابراهيم بن زياد البغدادي حدثنا يونس بن محمد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال سمعت أبا سلمة بن عبدالرحمن زمن خالد بن عبدالله القسري في هذا المسجد مسجد الكوفة وجاء الحسن فجلس إليه فحدث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الشمس والقمر ثوران في النار يوم القيامة . فقال الحسن : وما ذنبهما ؟ فقال : أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول: ما ذنبهما ؟ ثم قال البزار: لا يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه ، ولم يرو عبد الله الداناج عن أبي سلمة سوى هذا الحديث .

وروى الحافظ أبو يعلى الموصلي من طريق درست بن زياد عن يزيد الرقاشي ، وهما ضعيفان ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الشمس والقمر ثوران عقيران في النار . وقال كعب الأحبار : يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان في جهنم ليراهما من عبدهما كما قال تعالى : « إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » ، الآية . وأخرج أبو داود الطيالسي عن أنس أن النبي صلى اللهعليه وسلم قال : إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار .اهـ.) فهذا ما ذكره الدميري .

قال السماحي معقباً : (اختصره الباحث بما يفيد أن أبا هريرة هو الذي حدث وان الحسن اعترض عليه، وهذا تدليس فاحش ، بل تصرف مخلّ بمعنى الرواية ، ثم لما ذكر حديث كعب لم يذكر فيه أنه استشهد بالآية ، ليوهم أنه أتى به من علم أهل الكتاب ، ولم يرد أن يبين أن الحديث له شاهد عن أنس من رواية أبي يعلى ورواية أبي داود الطيالسي ، ولم يرد أن يبين الرواية التي انفرد بها البخاري ، وأن عبد الله الداناج لم يرو عن أبي سلمة غير هذا الحديث ، وأن الشاهد عن أنس في اسناده ضعيفان .) [1]

والحقيقة أن (درست ويزيد تالفان ، فالخبر عن أنس وكعب ساقط ، مع أنه لم يتبين من القائل : قال كعب .. ؟ وبهذا يعلم بعض أفاعيل أبي رية . [2] .

وبهذا يتبين ضعف رواية أبي يعلى ، بل تلفها .

أما رواية البزار فرواية البخاري أرجح منها ، فتقدم عليها . ذلك ان حديث البخاري خرج من نفس الإسناد . قال البخاري [3] : حدثنا مسدد ، حدثنا عبد العزيز بن المختار ، حدثنا عبد الله الداناج ، قال

---

(١) المنهج الحديث ص ٢١٨

(٢) من كلام المعلمي ص ١٨١

(٣) البخاري ٤/١٣١

حدثني ابو سلمة بن عبد الرحمن ، عن ابي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الشمس والقمر مكوّران يوم القيامة .

وهكذا يظهر واضحاً أن الزيادة في الحديث إنما جاءت من يونس بن محمد أو من ابراهيم بن زياد البغدادي ، وخالفهما مسدد في رواية البخاري ، ، فتكونُ رواية الضعيف أو الثقة مخالفاً رواية الثقة أو من هو أوثق منه ، فتكون الزيادة منكرة او شاذة ، وحكاية المسجد ملفّقة ، وعليه فلم يوافق أبو هريرة كعباً ، ولم يجعله كعب تحت إبطه .)[1]

بقيت رواية واحدة اذن يمكن أن يحتج بها ، وهي رواية الطيالسي التي ذكرها الدّميري ، ولا حاجة لفحص سندها ، إذ على فرض صحتها فانها من رواية أنس ، ويلزم أبا رية أن يحوّل هجومه إلى أنس بدل أبي هريرة ، ولذلك لا نبحثها ما دامت العهدة ارتفعت عن ابي هريرة بترجيح رواية البخاري ، لأن مسدداً أوثق من شيخ البزار وشيخه — .

إذن : نبحث الآن عن حديث أبي هريرة كما رواه البخاري ، وهو الراجح كما قلنا ، هل فيه تأثر بكعب ؟ .

الجواب : كلا ، اذ معناه وارد وروداً صريحاً في كتاب الله عز وجل ، ففي سورة القيامة : (وخُسِفَ القمرُ ، وجُمِعَ الشمسُ والقمرُ) . وفي سورة التكوير : (إذَا الشَمسُ كُوِّرتْ) .

وزيادة غير البخاري : في النار ، يشهد لها قول الله تعالى : (إنكم وما تعبدون مِنْ دُونِ الله حصبُ جهنم أنتم لها واردون). وفي صحيح البخاري وغيره من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً في صفة الحشر : ثم ينادي مناد : ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم ، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم ، وأصحاب كلّ آلهة مع آلهتهم . والحديث في صحيح مسلم وفيه : فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار . وفي الصحيحين حديث حدث به أبو هريرة وأبو سعيد حاضر يستمع له ، فلم يرد عليه شيئاً إلا كلمة في آخره ، وفيه : يجمع الله الناس فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ومن كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت .. ويوافق ذلك قوله تعالى في فرعون : يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار .

وإن صحت كلمة ثوران ، أو ثوران عقيران كما في خبر أبي يعلى على سقوط سنده ، فذلك والله أعلم تمثيل ، وقد ثبت أن المعاني تمثّل يوم القيامة كما يمثل الموت بصورة كبش ، كما ورد في صحيح البخاري ، وغير ذلك ، فما بالك بالأجسام ؟

---

(١) المنهج الحديث ص ٢١٩

ومن الحكمة في تمثيل الشمس والقمر أن عبادهما يعتقدون لهما الحياة ، والمشهور بعبادة الناس له من الحيوان : العجل ، فمثلا من جنسه . وفي الفتح : قال الاسماعيلي : لا يلزم من جعلهما في النار تعذيبهما ، فان لله في النار ملائكة وحجارة وغيرها لتكون لاهل النار عذاباً وآلة من آلات العذاب ، وما شاء الله من ذلك ، فلا تكون هي معذبة .) [1] .

وقول الاسماعيلي هذا سبقه إليه الطحاوي ، فذكر (أن الشمس والقمر إنما يكوران في النار كسائر ملائكة الله الذين يعذبون أهلها . ألا ترى إلى قوله تعالى : (يا أيّها الذينَ آمنوا قُوا أنفُسَكُمْ وأهليكُمْ ناراً وقودُها الناسُ والحجارةُ ، عليها ملائكةٌ غلاظٌ شدادٌ لا يَعْصُون الله) ، اي من تعذيب أهل النار ، (ويَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ) . وكذلك الشمس والقمر مما فيهما بهذه المنزلة ، معذّبان لأهل النار بذنوبهم لا معذّبان فيها ، إذ لا ذنوب لهما .) [2] . (ومعنى العقر الذي ذكر أنه لهما في هذا الحديث عند أهل العلم باللغة لم يرد به العقر لهما عقوبة لهما ، إذ كان ذلك لا يجوز فيهما ، إذ كانا في الدنيا من عباده أيضاً ، على ما ذكرهما به في كتابه بقوله : (ألَمْ تَرَ انَّ الله يَسْجُدُ لَهُ مَنْ في السّمواتِ ومَنْ فِي الأرْضِ والشمسُ والقَمَرُ) ، وذكر معهما من ذكر في هذه الآية ، حتى أتى على قوله تعالى : (وكثيرٌ حقَّ عَلَيْهِ العذابُ) ، أخبر أن عذابه إنما يحق على غير من كان يسجد له في الدنيا ، ولكنها كانا في الدنيا يسجدان في الفلك الذي كانا يسبحان فيه ، كما قال تعالى : «لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر » الآية ، ثم عادهما يوم القيامة موكلين في النار كغيرهما من ملائكته الموكلين بهما ، فقطعهما بذلك عما كانا فيه من الدنيا من السجود ، فعادا بانقطاعهما عن ذلك كالزمنين بالعقر ، فقيل لهما عقيران ، على استعارة هذا الاسم لهما ، لا على حلول عقر بهما .) [3]

وهكذا شهد القرآن والأحاديث الصحيحة لأبي هريرة رضي الله عنه .

تحاجج الجنة والنار

أخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اختصمت الجنة والنار إلى ربهما ، فقالت الجنة : يا رب ، مالها لا يدخلها إلا ضعفاء الناس وسقطهم ؟ وقالت النار ، يعني : أوثرت بالمتكبرين فقال الله تعالى للجنة : أنت رحمتي . وقال للنار : انت عذابي أصيب بك من أشاء ، ولكل واحدة منكما ملؤها. قال : فأما الجنة فان الله لا يظلم من خلقه أحداً ، وإنه ينشيء للنار من يشاء فيلقون فيها ، فتقول : هل من مزيد ،

---

(١) من كلام المعلمي ص ١٨٢ ، والحديث الذي استمعه ابو سعيد فأقره هو في صحيح البخاري ١٤٧/٨ ، ١٥٦/٩ ومسلم ١١٢/١ ، وراجع فتح الباري ٢٢٩/٦ .

(٢) (٣) مشكل الآثار ٦٨/٦٧/١ ، والزمن : هو المصاب بعاهة .

ثلاثاً ، حتى يضع فيها قدمه . فتمتلىء ، ويرد بعضها إلى بعض ، وتقول : قط ، قط ، قط .) [1] .

فأما نحن فنقول : صدق أبو هريرة ، وأما أبو رية فقد قام وقعد ، ورمى أبا هريرة بالكذب لأنه استغرب كلام الجنة والنار ووضع الله لرجله .

فيا ترى : ما الذي يدعو إلى الاستغراب والاستنكار ؟

(إن كان وجه الانكار هو أن الله يضع رجله ، ففي القرآن جاء اثبات اليد ، والوجه ، والعين ، والمجيء ، وغير ذلك لله تعالى ، ومذاهب العلماء معروفة في مثل هذه الألفاظ ، فالسلف يقولون بها من غير تأويل ، مع تنزيه الله عن مشابهته للبشر في شيء ما ، والخلف يذهبون إلى تأويل اليد بالقدرة مثلاً ، تمشياً مع مبدأ تنزيه الله عن مشابهة البشر ، وهو المبدأ الذي يسلم به الجميع .

فما يقال في القرآن يقال مثله في الحديث .

وإن كان وجه الاستنكار لتكلم الجنة والنار ، فقد جاء في القرآن أن الله قال للسموات والأرض : ائتيا طوعاً أو كرهاً ، قالتا : أتينا طائعين .

وإن كان وجه الإنكار أو الاستغراب أن يأتي الله الى النار ، فان القرآن أثبت له المجيء يوم القيامة بقوله : وجاء ربك والملك صفاً صفاً .

وفي القرآن الكريم أيضاً : يوم نقول لجهنم هل امتلأت ؟ فتقول : هل من مزيد .) [2] .

وأيضاً ، فقد روى أنس هذا الحديث بنفس ألفاظه [3] ، ورواه الخدري بلفظ : قدى قدى ، بدل قط [4] .

حديث خلق الله آدم على صورته

قال أبو ريّة : (وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة : أن الله خلق آدم على صورته ، وهذا الكلام قد جاء في الإصحاح الأول من التوراة ونصه هناك : وخلق الله الانسان على صورته) .

---

(١) البخاري ١٦٨/٨ ، ١٦٤/٩

(٢) من كلام السباعي رحمه الله في السنة ومكانتها ص ٥١

(٣) الترمذي ١٥٩/١٢ ، مسند الامام ٢٣٠/١٣٤/٣ باسانيد صحيحة .

(٤) مسند الامام أحمد ١٣/٣ ، كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ٩٠ وما بعدها باسانيد كثيرة .

أي إن أبا رية يجعل ذلك قرينة على أن أبا هريرة يأخذ من التوراة وينسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو استدلال لا مبرر له ، اذ(قد علم الجن والانس أن في الكتاب الموجود بأيدي أهل الكتاب المسمى بالتوراة ما هو حق وما هو باطل ، وأن في القرآن كثيراً من الحق الذي في التوراة ، وكذلك في السنّة . فاذا كان هذا منه كان ماذا ؟.) [1] .

وقد ذكر أبو رية أن الامام مالك أنكر صحة هذا الحديث ، ولم يذكر مصدر ذلك ، وبالتفتيش وجدت أن أبا ريّة اعتمد في ذلك على ميزان الاعتدال [2] فلم يكن أميناً ، اذ أورد الذهبي إنكار مالك للحديث ظناً منه أن ابن عجلان ينفرد بروايته عن أبي الزناد . وأورد قول مالك : (لم يكن يعرف ابن عجلان هذه الأشياء ولم يكن عالماً.) ثم بيّن الذهبي تواتر الحديث عن عدد من أصحاب أبي هريرة ثم عن عدد من أصحابهم ، وأخرج قول الإمام الكبير شيخ البخاري إسحاق بن راهويه إمام خراسان في حينه : (صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن آدم خلق على صورة الرحمن .) ، وكذلك أخرج عن الإمام اسحاق بن منصور الكوسج شيخ البخاري قال : (سمعت أحمد بن حنبل يقول : هذا الحديث صحيح .).

وهكذا تبدو قلة أمانة البحث لدى أبي رية ، إذ أنه يوهم أن مالك طعن في أبي هريرة نفسه لما رأى غرابة مضمون حديثه ، بينما هو ينكر ذلك لتفرد ابن عجلان به ، وابن عجلان عنده صدوق غير عالم، أي لا يميّز ولا يضبط ، ولو كان الامام مالك يعلم بتواتره عن أبي هريرة لسارع الى التصديق . كذلك تبدو قلة أمانة أبي رية في اخفائه تصحيح ابن راهوية والإمام أحمد للحديث ، وتصحيحهما له حجة قوية لنا ، إذ هما إمامان مميزان قدوتان لا يقلان عن منزلة مالك في العلم ، ولذلك سارع الإمام الذهبي إلى اتباعهما في تصحيح هذا الحديث فقال : (هو مخرج في الصحاح ، وأبو الزناد فعمدة في الدين ، وابن عجلان صدوق من علماء المدينة وأجلائهم ومفتيهم وغيره أحفظ منه ، أما معنى حديث الصورة فنردّ علمه إلى الله ورسوله ونسكت كما سكت السلف مع الجزم بأن الله ليس كمثله شيء .) [3] ، ولو أردنا تحديد معنى جميع الأحاديث العقائدية الغريبة المعنى والجري على قاعدة تضعيف كل ما فيه نوع تعارض مع بعض الآيات أو الأحاديث الأخرى في الظاهر لأدى بنا ذلك إلى تضعيف جملة كبيرة من الأحاديث الصحيحة الوارد كل منها عن عدد من الصحابة ، وكذلك وجب التصديق بها دون تأويل ورد علمها الى الله تعالى ورسوله. قال ابن قتيبة: (والذي عندي—والله تعالى أعلم— أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين ، وإنما وقع الألف لتلك لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن ، ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حدّ). [4] .

* * *

(١) الانوار الكاشفة ص ١٨٦
(٢) الميزان ٣٦/٢
(٣) ميزان الاعتدال ٣٧/٢
(٤) تأويل مختلف الحديث ص٢٢١

وعلى هذا النمط من الجهل سار أبو ريّة وغيره من أدعياء العلم في تكذيب أحاديث أخرى في العقائد لا نرى ضرورة لايرادها والإجابة عنها بعد ما ثبتت لنا عدالة أبي هريرة وأمانته وبعد ما حصل لك بعد هذه الأجوبة الواضحة السبعة على الشبه السبعة من الشعور بسهولة الرد على تضليلات المضللين ؛ بل إن هذه الشبه السبعة هي أقوى الشبه التي أوردوها ؛ بحيث يبدو الأمر لقليل العلم أن الرد عليها أصعب من الرد على الشبه الأخرى ؛ ومن أراد مزيداً من الردود والأمثلة فليراجع الأنوار الكاشفة والمنهج الحديث وكتاب الاستاذ محمد عجاج الخطيب ،وما تركت إيراده ليس بكثير ،ولتكن لك أيها المسلم ثقة بالبخاري ومسلم ،فانهما امامان ثقتان واعيان مميزان . فما رأيت من حديث يطعن فيه أحد رواه أحدهما أو كلاهما فاختم عليه وصدق به واعتقده سيّما إن كان يرويه صحابيان ، فانه ان سلّمنا جدلاً بصدور كذب عن أحد من الصحابة فمن المحال تواطؤ اثنين منهم على الكذب ، فان لم تفهم هذا الحديث الذي في الصحيحين فافتح بلا تأخر صفحات الجزء الأخير من فتح الباري شرح البخاري للحافظ ابن حجر ،فان فيه معظم هذه الأحاديث وجواب الحافظ عليها باسهاب ؛ فان بقي لديك اشكال بعد ذلك فقل : الله ورسوله أعلم بالمعنى بعد ما ثبت لديّ أن النقل صحيح . أما الأحاديث التي خارج الصحيحين ، كالتي في الترمذي والنسائي وابن ماجة ومسند أحمد وأمثالها ، ففتش أولاً عن صحة السند ، فان صح عندك فاسلك عندئذ كما سلكت في أحاديث الصحيحين .

إن هذه المئات من الأحاديث التي يشارك أبو سعيد الخدري وابن عمر وأنس وعائشة رضي الله عنهم وعنها وغيرهم من أمثالهم من الصحابة أبا هريرة في روايتها مما نجده في الصحيحين والسنن الأربعة والمسانيد لهي أقوى قرينة على صدق أبي هريرة في أحاديثه التي انفرد بها ، لكن هذه القرينة لا يراها إلا من كان له قلب حيّ ، اما من قسا قلبه فكان كالحجارة أو أشد قسوة فمحجوب عن الخير والعياذ بالله ؛ تائه في أضاليل الابتداع ؛ هائم في صحراء الاستشراق اليهودي .

وجرياً مع عادتهم التي انفضحت في فصول هذا الكتاب فقد لجأوا إلى استلال أحاديث موضوعة ضعيفة نسبت زوراً وبهتاناً إلى أبي هريرة في تسويغ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يوافق الحق ،ودلّلوا بها على كذب أبي هريرة وعمله بتلك الأحاديث ، مع أنهم ما نقلوها إلا من كتب ذكرتها للرد عليها وبيان ضعفها ، فنقلوا الأحاديث وألقوا في روع القارىء أنها صحيحة النسبة إلى أبي هريرة وتجاهلوا الردّ المذكور عليها بعقبها .

قالوا : إن أبا هريرة نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا لم تحلوا حراماً ولم تحرموا حلالاً وأصبتم المعنى فلا بأس . وأنه قال : إذا حدثتم عني بحديث يوافق الحق فخذوا به حدثت به أو لم أحدث . وإنه قال : ما بلغكم عني من قول حسن لم أقله فأنا قلته .

فقالوا : إنه كذب تعبداً وتقرباً إلى الله في ظنه عملاً بهذه الأحاديث . فكذبوا بذلك عليه تعمداً هم البعداء عن هداية الله .

فأما الحديث الأول فانه (في الرواية بالمعنى لا فيما زعموه من إباحة الكذب عليه صلى الله عليه وسلم ،

ولم يروه أبو هريرة بل رواه غيره . ففي مجمع الزوائد ١٥٤/١ عن يعقوب بن عبد الله بن سليمان بن أكيمة الليثي عن أبيه عن جده قال : أتينا النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا له : بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله ، إنا نسمع منك الحديث فلا نقدر أن نؤديه كما سمعنا . قال : إذا لم تحلوا حراماً ولم تحرموا حلالاً وأصبتم المعنى فلا بأس . رواه الطبراني في الكبير ؛ ولم أر من ذكر يعقوب ولا أباه . انتهى كلام الهيثمي في مجمع الزوائد [1] .

(والحديثان الثاني والثالث مكذوبان على أبي هريرة ؛ إذ في سند الأول منهما أشعث بن براز : كذاب ساقط لا يؤخذ حديثه ، وفي سند الثاني منهما عبدالله بن سعيد : كذاب مشهور . قال ابن حزم في الأحكام ٧٦/٢ وما بعدها : وقد ذكر قوم لا يتقون الله عز وجل أحاديث ، في بعضها إبطال شرائع الإسلام ، وفي بعضها نسبة الكذب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإباحة الكذب عليه . ثم سرد تلك الأحاديث وفيها هـذان الحديثان ، وأبطلهما بما ذكرناه ، ثم قال رداً على من أباح أن ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقله : حسبنا أنهم مقرون على أنفسهم بأنهم كاذبون ، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من حدث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين .) [2] .

فأبو هريرة بريء من هذه الأحاديث ، وقد شرّفه الله تعالى بالسماع الكثير الذي يغنيه عن نسبة الكلام الحق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا على ثقة كاملة إن شاء الله بأبي هريرة ، ونعتقد أنه ركن من أركان الصدق متين رغم أنف الحاسدين ، ومهما نكن فلسنا بأفضل ولا أوعى ولا أكثر فراسة من أولئك النفر الغر الميامين من الصحابة والتابعين الذين تلمذوا لأبي هريرة ورووا عنه علمه ، ولو كان ما يقوله المبطلون المتقولون على أبي هريرة حقاً لكان سعيد بن المسيب وابن سيرين وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وأخوه حميد وأبو زرعة والمقبري وطاوس وحفص حفيد الفاروق وأضرابهم من أهل الفطنة أوائل من تركوه .

* * *

والذي اتضح لي أن أبا رية تلقف هذه الشبهات عن الجهمية القدامى ، إذ ما يفرق الجهمية من صحابي مثلما يفرقون من أبي هريرة ، فإن بدعتهم الغليظة في نفي صفات الله عز وجل قد ضيق أبو هريرة عليها الطرق وسدها بما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم من أحاديث الصفات ، وقد طالعت كتاب التوحيد والرد على الجهمية في آخر صحيح البخاري ، وكتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة ، وأمثالها ، فوجدت جل اعتماد هؤلاء الأئمة على أحاديث أبي هريرة ، وهذه هي الظاهرة التي صبغت كتب الخلال ، وابن بطة العكبري ، وأمثالهم ، كما اتضح لي من رؤية النقول التي نقلها ابن تيمية عن كتبهم وإن لم أر مخطوطاتها ، ولذلك اشتدت عداوة الجهمية لأبي هريرة رضي الله عنه ، وقذفه النظام وغيره منهم .

والذي ينبغي على المسلم إزاء ما أثبته القرآن لله ، من اليد ، والوجه ، وما الى ذلك . أو إزاء ما صح سنده من

---

(١) (٢) الحديث والمحدثون لابي زهو ص ١٦١ ، دفاع عن السنة ص ١٢٩ .

ذكر نزوله ، وفرحه ، وضحكه ، وعجبه ، وما أشبه هذه الصفات التي لم ترد في القرآن ، أن يؤمن بها ايماناً كاملاً ويعتقدها ، ولكن اختلف علماء الاسلام الذين ضاددوا الجهمية في تفسيرها ، وانقسموا الى طائفتين .

فأما الطائفة الأولى : فتؤمن بها ايماناً ظاهراً ، بلا تعطيل لهذه الألفاظ ، ولا كيف ، ولا تأويل ، ولا تشبيه لها بما هو معروف عندنا ، فان الله ليس كمثله شيء ، فآمنت هذه الطائفة بأن لله يداً تليق به ، ووجهاً يليق بعظمته ، وأنه يضحك ضحكاً يليق به ، لا نعلم كيف هو ، وأنه ينزل ويتجلى بلا كيف ، وأمثال ذلك . وقد أكثر ابن تيمية وابن القيم وأصحابهما من الكلام المؤيد لمذهب هذه الطائفة ، ووضعوا كتباً كثيرة في ذلك ، نقلوا فيها أقوالاً كثيرة تبين أن معظم الصحابة والتابعين كانوا على هذه العقيدة .

والطائفة الثانية : آمنت بهذه الألفاظ إجمالاً ، ولكن ذهبت إلى تأويلها التأويل الأقرب إلى اللغة العربية واستعمالات الألفاظ فيها ، كالأشعرية ، ونجد ذلك واضحاً في كتاب (مشكل الحديث) لمحمد بن الحسن بن فورك الأشعري ، فهو يذهب إلى تأويل فرح الله بأنه الرضا ، وكفّ الله ويده بأنها الملك والسلطان والقدرة [1] ، وسار على منهج مغاير لمنهج الطائفة الأولى . ومثله القاضي الباقلاني أيضاً ، إذ ذهب في كثير من مسائله إلى التأويل ، ونحا منحى الأشاعرة ، ولذلك نجد ابن تيمية يرد عليهما في مناسبات كثيرة [2] .

---

(١) انظر الصفحات ٥٢ ، ٧٥ ، ٨٠ من كتابه مثلا .

(٢) كما في فتاوى ابن تيمية ٥/١٧٨/١٩٣/٢٣٨/ مثلا .